المحاضرة رقم02 من 12

عنوان المحاضرة: الحجاج عند الفلاسفة والمناطقة:

الحجاج عند الفلاسفة والمناطقة:

كان اهتمام الإنسان بالحجاج قديما، حيث امتزج بالدراسات المنطقية والبلاغية، وبالجدل والخطابة والفلسفة، فقد عدّ الإغريق البلاغة فنا للتأثير في النفوس. إلا أن فضاء البلاغة سرعان ما تلاشى بعد حلول العصر الصناعي، وهذا لأسباب عدة منها: طغيان العقلانية التي ترفض الاستدلالات الخارجة عن البرهنة. ثم عادت البلاغة والحجاج بقوة بعدما امتزجا بنظرية التواصل، ولعل أهم ما ساعد على ذلك هو التخلص من الوهم القائم على اعتبار اللغة نظاما لرسم الوقائع، فهي حسب التصور الجديدة نظام تتحول به الأقوال إلى أفعال[10]

1- الحجاج عند السفسطائيين:

ظهرت الحركة السفسطائية في القرن الخامس قبل الميلاد، وتميزت بتفرد روادها بالقدرة اللغوية والجدلية.

وقد أسهمت هذه الحركة في تطوير البلاغة خاصة ما تعلق منها بالمنطوق، وأثّرت في الحياة الفكرية، وعرف مؤسسوها بمحاورتهم ونقاشاتهم الفلسفية مع أرسطو وأفلاطون، وهو ما أسهم في عنايتهم بالحجاج والإقناع.

ويرى السفسطائيون أن القيمة الحجاجية تستمد من اللغة في حد ذاتها؛ أي من معجمها وصرفها وتركيبها، ومن المقومات الخارجية المتعلقة بالسياق مثل مكانة المتكلم الاجتماعية، وظروف إنتاج الخطاب.

[10] - ينظر، عمر بلخير، معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحفي، ص 170-171.

وقد بين أرسطو آليات الحجاج التي اعتمدوا عليها حين قام بنقدهم، فذكر أهداف الحجاج عندهم حين قال:" التبكيت، والإيقاع في الخطأ، والدفع إلى مخالفة المشهور، واستعمال صيغ غير لغوية غير مألوفة، وأخيرا دفع المجيب إلى الكلام الفارغ، وذلك بجعله يكرر كلامه عدة مرات"[11].

وبذلك يرى أرسطو أن حجاجهم مبني على المغالطات الدلالية، والتلاعب بالخطاب، ومحاولة استمالة السامع والتأثير فيه بكل الوسائل المتاحة.

2- الحجاج عند أرسطو:

يعد أرسطو من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا للبلاغة نظرة حجاجية، فقد قسم كتابه البلاغة إلى ثلاثة أقسام؛ يتعلق القسم الأول بمفهوم البلاغة وموضوعها ومناهجها وعلاقتها بالجدل. في حين يتناول القسم الثاني ما يتعلق بالتأثير على الآخر، أما القسم الأخير فيتناول صفات الأسلوب وآثاره الفنية والجمالية والحجاجية، وبذلك فإن هذا المصنّف يتناول اللغة، والفضائل الأخلاقية ، والانفعالات والأهواء.

وقد فضّل أرسطو البلاغة على المنطق؛ لأن البلاغة أكثر فاعلية في المجتمع، وهي أداة ناجعة في تفعيل الجدل والخوض في المناقشات السياسية والفكرية، ومن ثم فالبلاغة هدفها الإقناع والوصول إلى الحق والعدالة عبر الجدل والاستدلال[12].

وعليه فقد كانت البلاغة عند أرسطو خطابا حجاجيا بامتياز يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، يتوجه من خلالها المتكلم إلى السامع قصد توجيهه أو إقناعه. وفي هذا يقول أرسطو: "ويحصل الإقناع حين يهيأ المستمعون، ويستميلهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما..... والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح والراجح من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع... ويلزم عن ذلك أن البلاغة تكاد تكون فرعا من الجدل وعلم الأخلاق[13].

وبذلك عدّ أرسطو البلاغة فنا خطابيا بامتياز، إذ يستخدم وسائل لغوية في التأثير والإقناع.

---

[11] - أرسطو" فن الخطابة، ص23.

[12] - ينظر، جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص25.

[13] - ينظر: أرسطو، فن الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص6.

وقد ميز أرسطو بين أنواع الحجاج[14]:

أ- الحجاج الفلسفي: والمقصود به تلك الخطابات الفلسفية التي تتضمن قيما حجاجية. وحري بالبيان أن الحجاج قد شكل مهادا للحوار الفلسفي؛ لأن الفلسفة هي خطاب العقل والفهم والتأويل، وهي قضايا مرتبطة بالحجاج.

وتكمن أهمية الحجاج الفلسفي في منح الأفكار قوتها التي تمكنها من دحض رأي المخالف، كما أنه يحاول أن يستميل العقول المهيأة للتفكير العقلاني لإرساء الحقيقة.

ب- الحجاج الجدلي: إن منبع الحجاج الجدلي هو التساؤل والخلاف والحيرة حول قضية أو جملة قضايا، فالمجادل في الحجاج الجدلي يعالج قضية فكرية حادة وصفها أرسطو بأنها أشبه بالنزاع والصراع بين أبطال الكلام، وهو ما جعل الحجاج الجدلي فردي؛ لأنه موجه لفرد معين.

وقد ربط أرسطو الحجاج الجدلي بآليات القول وبنائه وإنتاجه، وكذلك بالمتكلم والسامع، وبذلك ربطه بأقطاب العملية التواصلية المتمثلة في المتكلم والرسالة والمتلقي.

ج- الحجاج الخطابي: لئن كان الحجاج الجدلي يتسم بالفردية فإن الحجاج الخطابي يتميز بالسّمة الجماعية؛ فهو موجه إلى جمهور السامعين، كما يتميز أيضا بمحاولته لبناء حكم وتوجيهه إلى الفعل، لتصبح تلك الأقوال منجزة في شكل أفعال تجسدها في الواقع.

وقد جعل أرسطو لهذا الصنف الحجاجي مراحل هي:

- مرحلة البحث عن مواد الحجاج ومصادر الأدلة، ويجب هنا مراعاة المقام، فعلى المحاجج أن يعثر على الأدلة والحجج المناسبة لموضوعه ولمستمعيه.

- اختيار الألفاظ والمحسنات؛ ذلك لأن القيم الحجاجية مستورة وخفية، وعلى المتكلم أن يجد ما يناسب موضوعه من ألفاظ.

3- النظرية الحجاجية الجديدة: (الأرسطيون الجدد)

[14] - ينظر الخطاب الحجاجي في مختارات أدب العلامة عبد الحميد بن باديس ص27-30.

تأسست البلاغة الحجاجية الجديدة عام 1958 مع رجل القانون التشيكي "شايم بيرلمان" واللسانية البلجيكية "لوسي أولبريخت تيتكا" حين أصدرا معا كتابهما "الوجيز في الحجاج. البلاغة الجديدة"، وقد حاولا تجديد أراء أرسطو البلاغية التي حصرت في الحجاج.

يرى كل من "بيرلمان" "" و"تيتكا" أن موضوع الحجاج محصور في دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في ذلك التسليم. وقد ربطا غايته بجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثه على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو على الأقل يجعل السامعين مهيئين لإنجازه[15]".

وعليه فإن الخطاب الحجاجي مرتبط بدرجة الإقناع والإذعان حتى تسلّم الأذهان بما يعرض عليها وتجسد ذلك في الواقع في شكل أفعال كلامية، يكون بمقتضاها الملفوظ الحجاجي بمثابة إنجاز للفعل.

[15] – ينظر: علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص89-90.